المحور 6:

الفلسفة والدين

تعتبر العلاقة ما بين الدين والفلسفة احد اهم النقاط التي يجب توضيحها لزيادة فهم طبيعة الفلسفة. حيث يبدو في ما يشاع ظاهريا ان هنالك تعارضا ما بين الفكر الديني والفكر الفلسفي، وأن بينهم صراعا وصداما، وخصومه واضحه ما بين اصحاب الخطاب الديني واصحاب الخطاب الفلسفي. ما بين منطق الايمان ومنطق العقل. لكن السؤال هنا هل فعلا الأمر كذلك ؟

قراءه الموضوع من زواياه المتعدده يحيلنا الى استنتاجات مخالفه على ما يبدو. فصحيح ان تاريخ الفكر والفلسفه وسير الفلاسفة تروي قصص صراع دائما ما بين الفلاسفة وأفكارهم واصطدامهم بمعارضة أهل الدين والمتحدثين باسمه. لكن ذلك الصراع يحمل في طياته مسكوتا عنه، الا وهو طبيعة تحول الدين الى مؤسسة تخضع لوصاية سياسية، وتدافع عن سياسة معينة عن الحقيقة والمجتمع والدولة. أي دفاع المؤسسات الدينية عن حقيقة رسمية دغمائية ترفض ما دونها. وترى أن كل نقد موجه لها هو في صلبه معاد لها، يجب مجابته والقضاء عليه. ومنه الخوف والتوجس من الفلسفة والتفكير الفلسفي. لكن التاريخ يروي لنا أنه حتى الانبياء والمصلحين الدينيين الذين قاموا بثورات على الافكار الدينيه السائدة تعرضوا الى الاضطهاد والرفض، ومنه ذلك المثل القائل: "لا كرامة لنبي في قومه"، تماما مثلما تعرض الفلاسفة الى الرفض والاضطهاد. اذا فليست العداوة

هنا ما بين الدين والفلسفة، لا بل هي ما بين ما هو شائع وما هو حادث، وبالتالي ينتفي الرابط الضروري عن عداوة بين الدين مع الفلسفة.

يلاحظ في تاريخ الأديان أنها في بداياتها كانت تجربة صوفية، تجربة تأملية، بحثا عن الحقيقة حول أصل الحياة والكون، حول خالق الكون وعلاقته مع الانسان، وفي هذا فإن الدين في بداياته يتشابه كثيرا مع طبيعة التفكير الفلسفي، ولكن الدين حين يتحول مؤسسة وديانة رسمية للعامه يتم تبسيطه وتشكيله في منظومة حقيقة مطلقة موجهة للحفظ لا لاعمال العقل، في حين يحتفظ الفكر الفلسفي بنزعته العقلية النقدية، فتضل الفلسفة مدالا نخبويا للبحث المستمر عن الحقيقة المفقودة.

في هذا السياق سنختار الدراسة المقارنة لزيادة فهمنا للعلاقه بين الدين والفلسفة:

بداية يشترك الدين مع الفلسفة في البحث في الاسئلة الميتافيزيقية والوجود ية . فاذا كانت الفلسفة تبحث اسئلة المصير وأسئلة طبيعة الكون، مصدره وقوانينه المحركة، وتطرح سؤال ما وراء الطبيعه وماذا يوجد خلف عالم الظواهر المادي، فان الدين كذلك في جوهره ميتافيزيقي، فهو يعطي رؤيه شامله عن اسئلة المصير، طبيعة الكون، اصله وفصله وقوانين التاريخ ومصائره ومالاته.

لكن اختلاف الدين عن الفلسفه هو اختلاف في طبيعة معالجة المواضيع والتصورات والتمثلات. فالدين يقترح تصورا موحدا عن الحقيقه عن اصل الكون، عن الخالق والمخلوق، عن مصير الانسان عما هو خير وما هو شر وغيرها. بينما الفلسفه وبفعل طبيعتها العقلية النقدية فانها تظل في مستوى الاشكاليات، اي انها صحيح تجيب عن نفس الاسئله لكنها لا تعطينا اجوبه بمثل بساطة وثبات الاجوبة الدينية. بالتالي تصنف الفلسفة في مجال العقل (اللوغوس)، ويصنف

الفكر الديني في مجال (الميثوس). وكما سبق الاشارة له في منعطف انتقال الفلسفة من الميثوس الى اللوغوس، فان الفكر الفلسفي يختلف عن الفكر الديني بهذا المعنى.

ليس هذا الاختلاف مفاضلة بين هذا أو ذاك، بقدر ما انه بيان لاختلاف في المجال. اختلاف يزيد من توضيح طبيعة وخصوصيات وماهية التفكير الفلسفي. فصحيح ان الفلسفات الكبرى حاولت ان تعطي اجوبة عن اسئلة كلية عن الكون الحياة المعرفة الوجود والقيم، ولكنها واقعيا لم تستطيع ان تعوض الدين، فبقي كل منه في اطاره وسياقه. فالدين على ما يبدو لا يعوضه الا دين مثله، والفلسفه لا تعوضها الا فلسفه مثلها. وهكذا تظل الفلسفه والدين مجالين منفصلين ولكن متداخلين وفق هذا التصور، مجالان حتى وان انفصلا فهما لا يلبثان ان يتداخلا في كل صغيرة وكبيرة.

علاقة تاريخية:

تمثل العلاقه ما بين الدين والفلسفة علاقه تاريخية بامتياز، فكل فلسفة وكل فيلسوف لم يفكر الا في اطار اجتماعي يحكمه تصور ديني معين. فالتفكير في الدين يختلف ما بين الفلسفة الكلاسيكية وما بين فلسفة العصور الوسطى وما بين فلسفة الحداثة والفلسفة المعاصرة. نجد أيضا تنوعا في ميولات الفلاسفة وفلسفاتهم نحو الدين، تصورا وتمثلا.فنجد فلاسفة حاولوا اصلاح أو ابتداع مذاهب دينية، لدينا فلاسفة دافعوا عن الدين امثال القديس اغسطين وبليز باسكال، لدينا فلاسفة انتقدوا الفكرة الدينية من أصلها امثال فريديريك نيتشه وارثر شوبنهاور، لدينا فلاسفة اقترحوا تصورات دينيه تقارب تصورات اديان الكبرى مثل أفلاطون وارسطو

الذي تم امتد تأثيره لكل لاهوت القرون الوسطى ومزج فكره مع الفكر الديني المسيحي في القرون الوسطى في محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة. كذلك هنالك من حاول التوفيق ما بين العقل والايمان، امثال ابن رشد وتوم الاكويني وغيرهم ...

يستحسن هنا التذكير ان الفلسفه ليست فلسفة واحدة، بل هي فلسفات تتعدد بتعدد الفلاسفة ومشاربهم، فلدينا فلاسفة مؤمنون بالدين العادي، واخرون يؤمنون بالدين العقلي، واخرون لا ادريون، بينما اخرون يرفضون الفكر الديني جمله وتفصيلا.

في السياق الراهن ظهرت "فلسفة الدين"، ألا وهي التفكير الفلسفي حول الدين ، وهي مجال فلسفي يبحث الأسئلة الدينية، ويدرس الفكر الديني مثلما تدرس الابستيمولوجيا العلوم وفلسفاتها.